٢٠- مع المُعلِّم الشَّاعِر

وصلَني ذاتَ يَوم خطـابٌ من مُـدير التَّـعليم في صَبْيَا، ومـعَه قصيدةٌ للمعلِّم حـسَن حمَد عزّ الدِّين أبو علَّة، يشكُـو فيـهَا حـالَ المدرَسـة التي يعملُ فيهَا وحاجتَها للكهربَاء، ويطلبُ أنْ يؤمَّنَ لهُم مولِّدُ كهربَاء. وعُنوانُ القَصيدة (دمعة يراع) يقول فيها:

حـدِّثانِـي عَن الهَـوَى حـدِّثاني

واقـبَلا الصَّـمتَ والبُكا واعـذرَاني

حـدِّثانـي عن الهَـوَى إنَّ سَـمـعي

مُـولعٌ بالجَـوَى وصَـدِّ الغَـوَاني

حـدِّثاني ولا تُـطِيـلا سُكـوتاً

كـلُّ داءٍ يَزيـدُ بالـكتـمَـانِ

وانظُرَا الكبتَ كيفَ يغدُو دماراً

كيفَ يُزْري بفوهَةِ البُركانِ

حَدِّثاني عَن الهَوى رُبَّ ليلٍ

صارَ دَهراً بآهةِ الوَلْهان

يا خَليلي والمساءُ كئيبٌ

بالغُ الهمِّ قاتمُ الألْوان

حدِّثاني فللهَوَى ألفُ مَعنى

شيَّدَ الحُسنُ أُسَّهَا والمبَاني

أخبراني فإنَّ قَلبِي جَريحٌ

وبناءٌ مُصَدَّعُ الأركَان

غيرَ أنِّي إلى الهَوَى فيَّ داعٍ

كلَّما قمتُ للرَّشَاد دعَاني

فـإذا الحلمُ صـارَ سُـكراً وصَـحـواً
أبدلَ الكأسَ أخـتـهـا فـابتَـلاني

نبـتَـغـي الوَصلَ والوصـالُ مميتٌ
يُفـقـدُ الحبَّ لذةَ الحِـرمـان

كَم سـعَـينـا إليـه دونَ ارعـواءِ
وملَـلْناه بعـدَ طُولِ الـتَّـداني

غـيـرَ أنَّ الوصـالَ يبـقَى لِزامـاً
رؤيَـة الـطَّـيف أو رُؤَى الـوَسـنـان

كلُّ حُبٍّ يـصـيـرُ بَعـدُ جَـفـاءً
غـيـرَ حُبٍّ في ساحَـة الـرَّحـمن

يا مـديَـر التَّـعليـم هذَا خطَـابي
مُـثـقلُ الخَطْـو أصـفـرُ اللَّون وَان

يا مـــديرَ الـتَّـــعلـيم هَـذا نداءٌ
لأبٍ طيِّـب السَّـــريرَة حَـــان

كـــرَّمَ اللـهُ منه أصْـــلاً ورُوحـــاً
وحـبَـــاه (كَـرامـة) الـعنوان[1]

أيُّـهـــا الوالـدُ الـعظـيمُ بـدَرب
فـــيـــهِ وصـلُ اليَـــمين بـالإيمَان

أيُّهـــا الوالـدُ الرَّحـيـمُ بمشـــفَى
نمنحُ الـعينَ فـيـــه للعُـمـــيـــان

كـيفَ باللَّـه ـ سـيِّـدي ـ لَـو ترَانا
نطرد الـطفلَ في حـمَى الجُـدران

كـيفَ باللَّه لَو سـمـعتَ جـدَالاً
كلُّ فَـــردٍ يقـــولُ هـذَا مكـانِي

(١) كرامة: هو اسم أخي الكريم مدير التعليم في صبيا، أعانه الله ووفقه.

كـيفَ باللَّـه لَو رأيتَ صَـغـيـراً
مُستغيثاً في قَاعَة الامتحَان:
قَد عَييتُ ومـا عرفتُ جَـواباً
ووضـعتُ الأهرامَ وَسط عُـمَـان
وجـعلتُ من (ثُم) حَـرفَ نداء
وجـررتُ المنصوبَ (بالضـمَّتَانِ)
لا تَلومُـوا فـإنَّني اليَـومَ خَـصمٌ
لامـتـحـانٍ تحـوطُهُ مِـحنَتَـان
أيُّ عِـلـم يـكـونُ بـينَ ثَـنـايَـا
شـدَّةِ الحَـرِّ وازدِحـامِ المَكانِ؟!

* * *

يا مـــديرَ التَّـــعليم إنَّـا بخَـــبت
قَـــمْطَـرير يفـــوحُ بالـنِّيـــران

يا مـديرَ التَّـعلـيم ـ والله ـ شـمسٌ
لَوَّنَـتْنَـا بصـــبـــغَـــة القَـطِران

واحـتـبـاسُ الهَـواء حـتَّى كـأنَّا
قـد حُبسْنَا في دَاخل البَرْطَمـان[1]

لو رأيتَ الجـبـاهَ كـيفَ تبـاكَتْ
بدمُـــوع ومـــا لَهَـــا عَـــينَان

إن أتَى الرِّيحُ بـالنَّسـيـم ابتـهَـجْنا
واقـتـسَمْنَـا الأفراحَ بعـدَ التَّـهـاني

كلُّ فَـــرد يَجيءُ مـــثلَ عَـــريس
ألْـمَـــــعِيِّ مُـطَـيَّـبِ الأرْدَانِ

(١) البرطمان: إناء من زجاج أو خزف، تحفظ به المُرَبَّيات ونحوها.

ثُم يَلوي إلى الدِّيار عَبُوساً
بثيابٍ كأنَّه الأصْفَهَانِي[1]
كيفَ والكهرباءُ يَوماً ستَأتي
فوقَ (جُعَل) يقودُه (غَيْلَمان)!!

* * *

يا مديرَ التَّعليم هذا خطابٌ
جاءَ يشكُو في حِليَة الخَجلانِ
قَد قصدْناكَ قصدَ أهْلِ العَطَايا
وأتينَاكَ رغبةَ الإحسَان
إنَّمَا الكهرباءُ سرٌ عَجيبٌ
يُلْبسُ المَيْتَ ثوبَ عمرٍ ثان

(١) الأصفهاني: هو أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني، وقد عُرفَ بشدة اتساخ ملابسه.

ويبثُّ النشـــاطَ بينَ خَـــلايا
جَـامـدات في عَـالَم النِّسـيـان
فانظُر الأمرَ واقشَعَنْ سُحبَ بُؤس
وأغـثْنَا بفَـيـضـكَ الهَـتَّـان

* * *

أيُّهـــا الوالـدُ العظيـمُ اعـتـذاراً
لَـك منِّي لَمَا بـراهُ لسَـــانـي
ولما سطرَتْ دُمُـــوعُ يَراعـي
ولَمَا أشـعلَتْ شُـمـوعُ بيَـاني
غـيـرَ أنِّي وجَـدتُ فـيكَ فـؤاداً
عُـــمَـــريّا يُشِعُّ بالإيمَانِ

وبعدَ أنْ قرأتُ رسالةَ مُدير التَّعليم والقصيدةَ رأيتُ مخاطبةَ ذلكَ المعلِّم؛ حيثُ أحرصُ على تَشجيع المواهب، ومُخَاطَبة المعلِّمين؛ فهُم صُنَّاعُ الأمَّة، وبناةُ المستقبَل.

ولهذَا كتبتُ رسالةً لأخي المعلِّم حسَن حمَد أبو علَّة، ذكرتُ فيهَا أهميَّةَ دَور المعلِّم، وأبدَيتُ إعجَابي بالقَصيدة، وأنَّ الرِّسالةَ وصلَت، وكانتْ من أبلَغ الرَّسائل، وأنفَذ الحُجَج، وأنَّه تَمّ الاستجابةُ للطَّلب. وبعدَ أيَّام وصلَتْني من ذلكَ المعلِّم الرسالةُ التاليةُ، حيثُ يقولُ فيهَا:

أستَاذي الفاضلُ، الدكتورُ عَبد العَزيز بن عَبد الرَّحمن الثنيَّان وفَّقَه اللهُ

السلامُ عليكُم ورحمةُ اللَّه وبركاتُه، وبعد:

لقَـد وصلَتْني رسالتُكم الغـاليةُ، التي كـانَت علَى اختصَارِها تفـيضُ بمعَاني الأُخُـوّة وعَطف الأُبُوَّة.

ولَم أكُن سـاعتَـها أعلـمُ بأيّهمـا أنَا أسعـدُ؟ أبقُدوم المُولِّد أم بوُصُـول الرِّسالة؟! وقَـد عَمَّتْ هَذه السَّـعـادةُ الهـيـئـةَ العـاملةَ بالمدرَسـة وعَلى رَأسهم مُـديرُ المَدرسة، وكُلُّهم يلهـجونَ بالشُّكر والدُّعاء لكُم.

أستَاذي الفَـاضلُ، لقَد أصبحَتْ دمـعةُ يَراعنا بسمةً. نسألُ اللهَ أن يسعدَك في الدُّنيا والآخرَة.

ولقد هيَّـجْتَ مكامنَ الشِّعر في نَفـسي لتأتيَ لقَصيدة (دمعـة يراع) أختٌ صُغرَى، هيَ (بسمة يراع). أتشرَّفُ بإهدَائها لكُم شَخصيّا، رَاجياً أن تجدَ أكـثرَ ممَّا وجـدَتْهُ أختُـها منكُم من إعـجَاب

واهتمَام.

ولكُم منِّي ومن هَيـئَـة الإدَارة والتَّـدريس بالمدرسَة خالصُ الشُّكر والتَّقدير.

«بسمة يراع»

يا ابنَ نَجـد قـتلتَ قَلبَ الجَنوبِي
بكَلام مُـضَـمَّخٍ بالطُّيُـوبِ
ومَـلأتَ الفـؤادَ نحـوَك شَـوقـاً
فـهَـنيءُ المَنام أضـحَى سَليـبي
بِتُّ بـاللَّـيل أعـصـرُ فـكري
أيّ شِـعـرٍ أصُـوغـهُ لـلحَـبـيبِ

قُلتَ شِعـراً ولَم يكُن غيـرَ نَثر
غـيـرَ أنِّي لمستُ رُوحَ الأَديب

صُغْتَ بالحَـرف للمَحَبَّـة لَحْناً
فـاقَ في الحُسْن رَوعـةَ الـعَنْدَليب

قَـد أتَاني البَـريد مُـضْنًى مُـعَنّى
يشـتكي حُـرقـةً وطولَ الدُّروب

سارَ في دَربه علَى الشَّهر عَشراً
بعدَ عَشر فجاءَني كالغَريب[1]

جـاءَني أحْـرُفًـا تَبُـوحُ بوَجْـد
فـتـلاقَى لَهـيـبُـهـا بلَهـيـبِي

أصْدقُ الحب ما أتَى دونَ قَصد
كـانَ سِـراً مُـقدَّراً في الغُـيـوبِ

(١) يقصد أن الرسالة التي أرسلتها إليه تأخرت في البريد مدة طويلة، حيث وصلته في ١٢/ ٤/ ١٤١٧هـ.

والوِدَادُ الصُّـــرَاحُ مـــا كـــانَ بَلْوَى
ليسَ تُـشْـفَـى بحكمَـــة أو طَبَـــيبِ

* * *

إيه يا ســـيِّـدي شَـرَحـتَ صُـدوراً
لَم تَزلْ تشتَـكي ازدحـامَ الكُروب

إيه يا ســـيِّـدي مَـسَـحْتَ عُـيـونـاً
أمـطرَتْ وارتـوَتْ بدَمـعٍ سَـكيـب

قَـد وقَـفْـنا بجَـمْـعنا فـي خُـشـوعٍ
فـــأتيـــتُـم بجُـــودكم كَـــالخَـطيب

فَطَـربْنا ومَـــا نَطَـقْتَ بحَـــرف
إذْ رأينَـا فـــعَـــالَ شَـــهـم أَريبِ

نحنُ يا وَالـدي اشـتكَينـا كَـثـيـراً
وصـــرَخْنَا ومَـــا لنَا من مُـــجـــيب

واحـــتـــرقْنَاَ لـــمَّـــا مَلَلْنا جَـــواباً
فَـــمَـــزجْنا صُـــراخَنا بالنَّـحـيب

كَم شكَـوْنا فُـصـولَنـا في عَـراء
دونَ سُـور يَصـدُّ سُـوءَ الخُطوب

تَرْتَـعُ الضَّـــأنُ بينَـنا وشَـــيـــاهٌ
سـائمـاتٌ كَـأنَّهـا في الخَـصـيب

وازدحَـام الـفُـصـول داءٌ عُـضَـالٌ
يجـعلُ الدَّرسَ في مَـقامٍ عَـصـيب

مـا لنَا غـرفـةٌ لنَجلـسَ فـيـهَـا
حـالُنا مُـؤسفٌ وجـدُّ عَـجـيب

قـد أتـانا مُـولَّدٌ فـاهْتَـمَـمْنا
يبـتَغي حُـجْـرةً ونَفْضَ (الجيُـوب)

* * *

أمَـلاً أشـرقَتْ شُـمـوسُكَ فـينَا
بَدَّدَتْ فَـجْـأةً ظلامَ الغـروبِ

وتَبـدَّى يَراعُنـا بابتـهَـاجٍ
باسـماً يَـزدَهي بثَـوبٍ قَـشيبِ

فَيَـدُ الجُـود تجعَلُ القَـحطَ غيـاً
تُنْبتُ العُـشبَ في المكَان الجَـديب

وعظيمُ المَـعروف مَـا ظَلَّ قَـيْـداً
كَـبَّـلَ الشُّكْرَ بـالسُّكُوت الـرَّهيب

فـأَصَـــاخَتْ وَسَـائلُ الـنُّطْق إلا
منْ حَـــديث يَـدُورُ بينَ القُـلوب

وإذَا المرءُ بـالسَّـــخَـــاء تَغَـطَّى
صَـدَّ عَنْ نَفْسـه سِـهـامَ العُـيـوب

فـــتَـــراه الـعُـيـــونُ في كُـلِّ فَجٍّ
مَلَكـاً قَـد مَـشَى بغَـــيـــر ذُنوبِ

عَـجَـبـاً أنْ تَرَى الكريمَ بَـعـيـداً
صـارَ فـينَا بصُنْعـه كَـالقَـريب

ومُـحِـبـاً يعـيـشُ هَجْرَ مُـحَبٍّ
قـد تَسَلَّى عَن وَصْله بالـنَّسـيبِ

ألا مَا أجـملَ الشِّعرَ! ومَـا أعذبَ التـخاطُبَ
معَ المعلِّـمينَ المخلصينَ بُنَاةِ المـسـتـقـبَلِ، وأمَلِ

الأمَّة! ويا حَسْرَتَى حينَ لا نستجيبُ لحاجَات المدَارس الكَثيرة وطلَباتها المتعدِّدة؛ فكَم نحرصُ علَى تَوفير الجَوِّ التَّربويِّ، ولكنَّ النموَّ التعليميَّ المتزايدَ والاعتمَادات الماليةَ تحدُّ من الطُّموح، وتجعلُ المسؤولَ في مَوقف صَعب، فهَذه المدرسَةُ التي يتَحدَّثُ عنَها الشَّاعرُ بحاجَة إلى فُصول إضافيَّة وأسوَار وصَالات. ومَا أكثرَ المدَارس الَّتي تماثلُ هَذه المدرسةَ!

إنَّ المبانيَ المدرسيةَ أهمُّ مشكلَة، وأكبرُ معضلَة. ومَهمَا أنجزَتْ وزارةُ المعَارف من مشاريعَ فإنَّها تظلُّ أمامَ تحدٍّ كَبير. فقَد وصلَتْ المشاريعُ قبلَ حَرب الخَليج إلى دَرجة أنَّ وزارةَ

المعَارف صارَتْ تتسلَّمُ كلَّ يَوم مدرسةً، ولكنَّ النموَّ الطلابيَّ أكبرُ. ولا أَدري كيفَ ستكونُ الحالُ بعدَ عَشرِ سَنواتٍ؟! وكانَ اللهُ في عَونِ المسؤولينَ.

obeikandl.com